أبو بكر القاضي

إبراهيم عليه السلام وكلمات الابتلاء

د. أبو بكر القاضي

المجلس الحادي عشر: ولاية الشيطان سبب عذاب الرحمان

abobakrelkady AboBakr Elkady
www.abobakrelkady.net KonnashatElkady

{ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَـٰنِ وَلِيًّا} [مريم: ٤٥]

- ما أعظم رحمة إبراهيم عليه السلام!
- وما أعظم علم إبراهيم عليه السلام بربه تبارك وتعالى!
- وما أحسن موضع ذكر اسم الرحمن عزوجل في هذا السياق! ترغيبًا في رحمة الله عزوجل، وترغيبًا في الإقبال عليه تبارك وتعالى.

فعلًا كما قال إبراهيم بن أدهم: "مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وما ذاقوا أطيب ما فيها، قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: ذكر الله، والتنعم بحبه، وقربه"

القرب من الله عزوجل هو الرحمة الحقيقية، هو السعادة الحقيقية.

عجيب أمر الناس الذين يُعرضون عن الرحمن أرحم بهم من أمهاتهم وآبائهم وأنفسهم، هو تبارك وتعالى يدعوهم إلى دار السلام، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، هو غني عنهم، ومع ذلك يتودد إليهم بالنعم، وبإرسال الرسل، وإنزال الكتب، والتعرف إليهم بأسمائه، وصفاته، وأفعاله، وأقضيته وأقداره تبارك وتعالى، حتى الابتلاءات التي يبتليهم بها ليبتليهم ليسمع صوت دعائهم، وتضرعهم وانكسارهم {فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ} [الأنعام: ٤٣]

- يحب الإلحاح في الدعاء تبارك وتعالى.
- يحب أن يسأله العبد.
- يحب أن يلح عليه في السؤال.
- يحب أن يتضرع له وأن ينكسر له.

الله تبارك وتعالى يحب أن يعطي هو المنان، هو الرؤوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "يَدُ اللَّهِ مَلْأَى، لا تَغِيضُها نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ والنَّهارَ. وقالَ: أرَأَيْتُمْ ما أنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّماءَ والأرْضَ؟! فإنَّه لَمْ يَغِضْ ما في يَدِهِ، وكانَ عَرْشُهُ علَى الماءِ، وبِيَدِهِ المِيزانُ يَخْفِضُ ويَرْفَعُ" [متفق عليه]

الله عزوجل حقيق بالإلهية، حقيق بالعبادة لأنه له الأسماء الحسنى والصفات العلى له الجمال، والجلال، والكمال تبارك وتعالى، هو يسمع، ويبصر، ويغني عنك، يحميك من كل شيء، يعيذك من كل شيء، يجيرك من كل شيء.

الله تبارك وتعالى هو العليم الحكيم، الله عزوجل هو الرحمن، هو الرحيم، هو المنان، هو الرؤوف تبارك وتعالى.

- لماذا تتخذ الشيطان وليا من دونه؟
- لماذا تُعرض عن الله تبارك وتعالى؟

الله تبارك وتعالى من أجل أبيك آدم عليه السلام عاد إبليس؛ لأن إبليس لم يسجد له، عاد الله تبارك وتعالى إبليس بل طرده، ولعنه؛ لأنه لم يأتمر بأمره في تكريم آدم عليه السلام وآدم عليه السلام كان حريًا بهذا التكريم {وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَـٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ * قَالُواْ سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ * وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ} [البقرة: ٣١-٣٤]

فكان بعد هذا التكريم والاصطفاء من الله والتعليم من الله عزوجل، مقتضى هذا السجود كسجود التحية وكسجود التكريم.

- لماذا لا تأتمر يا إبليس بهذا؟ لماذا لم يأتمر الشيطان بذلك؟

لما في قلبه من كبر، لما في قلبه من غرور، فأظهر الله عزوجل هذا الكبر، وهذا الغرور، وهذا الإباء، وهذا الاستكبار، وهذا الكفر بهذا الابتلاء بالأمر.

كان من الملائكة الانصياع، وكان من إبليس الفسق عن أمر ربه.

{فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّـٰلِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠]

عجيب! الله تبارك وتعالى من أسباب عداوته لإبليس ومن أسباب كفر إبليس أن الله تبارك وتعالى أمره أن يسجد لأبيك ثم أنت تترك الله تبارك وتعالى وتتخذ هذا العدو وليًا، كيف تتخذه وليًا؟

هذا لو كان ابن حلال! يعني إبليس لوكان ابن حلال وكان في مقابلة رب العالمين تترك الله وتذهب إلى هذا المخلوق فكيف وهذا المخلوق كان سبب عداوة الله تبارك وتعالى له، وكان سبب كفره هو كرهه لأبيك، هو عداوته لأبيك {أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا} [الكهف: ٥٠]

{يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا * يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا * يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا}[مريم: ٤١-٤٥]

الرحمن يعذبك لماذا؟

لأنك أغضبته، لأنك قد أتيت بموجب غضب الرحمن، الرحمن الذي يعطي ويرأف تبارك وتعالى سيعذبك؛ لأنك أتيت بجريمة شنعاء تنكرها الفطرة والعقول فضلًا عن الوحي والشرع، تنكرها أنت من ذاتك تكره نفسك بسببها، تحتقر نفسك بسببها {إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ} [غافر: ١٠]

يمقت نفسه كل يوم بسبب كفره ومع ذلك لا يريد أن يترك هذا الكفر لماذا؟ للشهوة، للدنيا، للسلطة، للنفوذ، ماذا سيقول الناس؟ انظر إلى العاقبة، انظر إلى المآل، انظر إلى حالك مع الله، انظر إلى النجاة، انظر إلى طريق النور.

{قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا} [مريم: ٤٦]

بعد كل هذا الرفق واللين يا أبتي يا أبتي يا أبتي إقامة الحجة بالدليل، والبرهان، والرفق، والحكمة، والترغيب، والترهيب، وذكر اسم الرحمن، ودعوته إلى رحمة الله عزوجل {لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا}

كان للأبد لإبراهيم عليه السلام هنا أن يقول: {قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا} [مريم: ٤٧،٤٨]

أقبل على ربه عزوجل هجرهم، وتركهم {وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ ۖ} [العنكبوت: ٢٦]

{وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ} [الصافات: ٩٩]

ولكن قبل ذلك بعد إقامة الحجة على أبيه أقام الحجة أيضًا على قومه {وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} [الأنعام: ٨٣]،

وهذا ما سنقف معه في مناظرة إبراهيم عليه السلام لقومه في الحلقات القادمة.

أقول قولي هذا و استغفر الله العظيم لي ولكم.